335128 ـ الأمة في أمان من العذاب والهلاك العام

السؤال

1. هل من الممكن أن يعامل الله المسلمين معاملة قوم عاد وقوم نوح وهكذا..؟ خصوصا بعد كثرة الذنوب والمجاهرة بها، بل ومحاربة أولياء الله وقلة المصلحين ...إلخ، لان أقصى ما وجدته في هذه النقطة أن الله استجاب لدعاء النبي الكريم بألّا يهلك الأمة بسنة عامة، وأن هذا من خصائص الأمة الإسلامية، لكن هذا يتعلق بالجدب، أما فيما يتعلق بسؤالي على وجه التحديد فلم أجد الجواب الشافي ؟ 2. إذا كان الجواب بأن الله لا يعامل الأمة الإسلامية كما عامل القرون الماضية ممن أهلكهم بسنة عامة، فقد يركن البعض لهذا الجواب، وتحدثه نفسه بأن يتبع شهواته، ويضيع أوقاته، ويطيل الأمل، ويقلل الخوف من الموت، فما توجيهاتكم ونصائحكم لنا ؟

ملخص الإجابة

هذه الأمة المرحومة آمنة من العذاب والإهلاك العام وإذا كانت الأمة في مأمن من الهلاك، فما الذي يؤمّن الفرد الظالم والعاصي والمفرط أن يهلكه الله هو بنفسه ، أو يخسف به الأرض ، أو يبتليه بالأوجاع والطواعين؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا: من خصائص هذه الأمة أنها مرحومة آمنة من العذاب والإهلاك العام

هذه الأمة المرحومة آمنة من العذاب والإهلاك العام؛ لما روى النسائي (1638) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ، عَنْ أَبِيهِ ـ وَكَانَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : " أَنَّهُ رَاقَبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّيْلَةَ كُلَّهَا، حَتَّى كَانَ مَعَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا سَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ صَلَاتِهِ ، جَاءَهُ خَبَّابٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بأبي أَنْتَ وَأُمِّي، لَقَدْ صَلَّيْتَ اللَّيْلَةَ صَلَاةً مَا رَأَيْتُكَ صَلَّيْتَ نَحْوَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أَجَلْ، إِنَّهَا صَلَاةُ رَغَبٍ وَرَهَبٍ ؛ سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا ثَلَاثَ خِصَالٍ، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً. سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُهْلِكَنَا بِمَا أَهْلَكَ بِهِ الْأُمَمَ قَبْلَنَا، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُظْهِرَ عَلَيْنَا عَدُوًّا مِنْ غَيْرِنَا، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يَلْبِسَنَا شِيَعًا، فَمَنَعَنِيهَا والحديث صححه الألباني في "صحيح النسائي".

وكذلك لا يهلك الله هذه الأمة بالجدب أو السنَة العامة، كما روى مسلم (2889) عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا .

بل ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الإهلاك العام قد رفع عن الأمم الكافرة من بعد التوراة، كما سبق بيانه في جواب السؤال رقم : (269222) .

ثانيا: الفرد من هذه الأمة ليس معصوما من الهلاك والعذاب والانتقام.

إذا كانت الأمة في مأمن من الهلاك، فما الذي يؤمّن الظالم والعاصي والمفرط أن يهلكه الله هو بنفسه ، أو يخسف به الأرض ، أو يبتليه بالأوجاع والطواعين؟ فأي أمان للشخص من هذا ؟ وأي ضمان له ألا يأخذه الله بعذاب من عنده ؟ وماذا ربح إذا نجت الأمة بأجمعها ، وأهلكه الله هو بنفسه ؟

وهب أنه نجا من عذاب الدنيا، ألا يعلم أن عذاب الآخرة أشد وأعظم؟ وأن من أريد به الشر، أُمسكت عنه العقوبة في الدنيا حتى يوافي بذنبه في الآخرة.

روى الترمذي (2396) عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وصححه الألباني.

ولا نظن عاقلا يربط بين عصمة الأمة من الهلاك العام، وبين تماديه وغفلته، فهذا لون وهذا لون، لأن الفرد ليس معصوما من الهلاك والعذاب والانتقام.

والله أعلم.